

سنة ١٩٤٠

الكلمات الأخيرة

تأملات مختصرة في كلمات المسيح على الصليب



مجلة خلاص النفوس للنشر

الكلمات الأخيرة

تأملات مختصرة في كلمات المسيح على الصليب

بقلم

فخرى الكريم يوسف

مارس ١٩٩٠

بطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع نقطة بشبرا مصر

مقدمة

كلمات الرب يسوع علي جبل الصمود هي آخر كلماته للمؤمنين فيما يختص ببداية الأرسالية للعمل والتشجيعات المطلوبة . وكلماته في سفر الرؤيا هي آخر ما قاله للمؤمنين بخصوص نهاية الأرسالية والأمجاد المنتظرة . أما كلماته علي الصليب فهي آخر ما قاله للعالم أجمع — خطاة ومؤمنين — في نهاية خدمته العلنية .

ولعل من أهم وأصدق ما ينطق به المرء هو ما ينطقه في مواجهة الموت . فالمرائي لا يستطيع أن يراني بعد ، والمخدوع يكتشف الحقيقة المؤلمة ولكن بعد فوات الأوان ، واللاهني في سكر وخمار وهموم العالم ينتبه الي واقع حزين حيث لا ينفع ندم ولا حسرة ، وأيضا المؤمن الأمين يستقبل الأبدية بابتهاج عظيم .

دعونا نقرب بقلوب خاشعة وننصت الي تلك الأقوال التي قالها الرب علي الصليب ، فهي بلا شك غاية في الأهمية ، ولن نعني فقط بالتفسير اللاهوتية للكلمات بل أيضا بالمعاني العملية المتضمنة فيها حتي نستفيد منها ونحيا بموجبها .



بِسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ
إِلَهَ وَاحِدَ . آمِينَ

اغفر لهم

« يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون »
(لو ٢٣ : ٣٤) .

كانت الشمس قد بدأت لتوها تصعد الي كبد السماء في ذلك اليوم المشهود ، وكانت اورشليم تضج بجموع البشر الفقيرة التي ملأت شوارعها وازقتها الضيقة في ايام العيد . وان كان هذا الاقبال الجماهيري امرا معتادا في كل عام في مثل هذا الوقت من السنة الا ان هذه المرة كان لها ما يميزها ، اذ ان شهرة يسوع الناصري التي طبقت الافاق قد جذبت حب استطلاع نسبة كبيرة من الشعب الذين صعدوا لكي يروا معجزاته وليسمعوا تعاليمه وما اذا كان حقا سيملك علي كرسي داود ابيه ويبدد الاعداء . بل كان هناك شيء آخر وهو عداء السنهدريم للمسيح الذي بات واضحا ، ماذا سيفعلون؟ وهل يمكن أن يتحد الاعداء معا - السنهدريم والدولة الرومانية - ضد المسيح؟! وهل ستنتشب معركة حاسمة ذات ابعاد سياسية خطيرة؟! كل هذه التساؤلات دفعت جمهورا كبيرا ليصعد في اعقاب الرب الي اورشليم في تلك السنة .

في الواقع انه علي قدر ما كان البشر يضرعون بالبغضة الشديدة للرب ، فان قلبه كان يكن لهم كل حب واشفاق . حقا كانت هناك معركة قادمة ، لكنها لم تكن بين عدوين ، بل بين محبة الله وبغضة البشر ، بين عطف الله وحسد البشر . كان الرب يعلم بكل ما سيأتي عليه ان هو صعد الي اورشليم وكانت الكأس التي ستعطى له هناك غاية في المرارة ، كأس آثام البشرية ، بل كان اصداؤه يترجون - عن جهل - الا يذهب . لم يكن هناك شيء واحد يدفعه للصعود الي اورشليم سوى محبته الفاتكة المعروفة ، ورغبته الشديدة في اتمام فدائنا وخلصنا ، فثبت وجهه ليصعد الي اورشليم . « الله بين محبته لنا لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا » (رو ٦: ٥ - ١٠) .

دموع الحبة

بل انه وهو علي مشارف المدينة المرتفعة الي السماء نرى دموعا سخينة تنحدر من عينيه وتسيل لتبلل لحية رجل الأوجاع . ليست دموع ألم أو خوف بل دموع حب ، حب للاعداء الذين في مواجهته ، حب لمن هم مزعمون أن يمزقوا جسده بالسياط بعد قليل . كان يتمني لهم السلام لكنهم رفضوه ، وكان ينتظرهم هلاك رهيب لا يتوقعونه ، ولكنه بعينيه اللتين تخترقان أستار ظلام المستقبل كان يرى ذلك الهلاك ، فحزن لاجلهم ، انه يحبهم الي المنتهى!! الا تعلم يا من تتجاهله حتي الآن وتتحاشي سماع كلامه انه يحبك؟ انه حتي في يومنا هذا ينظر الي كل انسان بعيد عنه ويحزن علي مصيره . أنك بابتعادك عنه تجلب علي نفسك هلاكا سريعا . انه يعلم كم هي قاسية جهنم!! الا تستجيب لنداء حبه وترجع فتحيا؟! *

وهناك في مواجهة مشاعر الحسد والبغضة من اليهود ، والغدر والخيانة من الاصدقاء ، والقسوة الدموية والكبرياء من الأمم ، وقف يسوع صامتا!! كان ينبغي له ان يشرب الكأس من يد ابيه . وتبدأ المحاكمة من دار رئيس الكهنة مرورا بدار الولاية وقصر هيرودس ، وتنتهي في هضبة الجلجثة . شتائم ، صفعات ، تجديف ، هزء وسخرية ، سياط ، مساهير حديدية غليظة تخترق الجسد الواهن . كان هذا هو الرد الأخير علي محبته الفياضة!! ماذا نظن بعد؟ ماذا ستفعل المحبة الجريحة؟ حسنا ، طالما أنهم رفضوا باصرار ، فلتتركهم للآب الفاضب ، الذي سلم له الابن أمره (ابط ٢٣: ٢) ، حتي ينزل بهم هلاكه السريع ، فتنتشق تلك الأرض الصخرية وتبتلعهم ، او تنهال الصواعق علي رؤوسهم فتسحقهم...!! لكن مهلا فمحنة الله أعظم مما نتصور!! فهنا هو المصلوب يرفع رأسه لاعلي مخاطبا آباء السماوي ونسمعه يقول « اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » . وكأنني به يقول « انتظر يا ابتاه ارجوك ، لا تنتقم منهم الآن ، أحجز غضبك وقتا آخر ، انا أعلم أنهم اكملوا مكيال انهم بصلبي ، اني أعلم أنهم لا يستحقون بعد أية شفقة ، انا أعلم أنك تريد الانتقام لي ، لكن بحق محبتنا الازلية انتظر ، هناك مخدوعون وعميان ، هناك عبيد مسوقون ، بل اني اسمع وقع أقدام نائب مسكين طالبا العفو بجوارى... اغفر لهم!! ما اعجب هذا الحب

الذى لم ينطق بعد ، أنه حب ليس من دنيا البشر ، حقا أن سيول الهاوية لا تطفئه !!

من المقصود ؟

لكن دعونا نتساءل : لقد كان الرب عندما يغفر لخطيء تائب يقول له بسلطان « مغفورة لك خطاياك » فلابن الإنسان سلطان علي الأرض أن يغفر الخطايا (مر ١٠: ٢) ، فلماذا لم يفعل هكذا الآن بل فوض الأمر للآب ؟ ثم أن الشرط اللازم توفره في الإنسان حتي ينال الغفران هو التوبة والإيمان (مر ١٥: ١) ، فكيف يمكن أن تغفر خطايا هؤلاء القوم الذين خلت قلوبهم من آية توبة أو إيمان ؟ لو حدث هذا لتزعزع عرش عدالة الله ، حاشا . أيضا كانت هذه الشفاعة من نصيب قوم هم « لا يعلمون ماذا يفعلون » فهل كان كل الواقفين عند الصليب لا يعلمون ماذا يفعلون ؟ .

كلا ، كان هناك من يعلم جيدا ماذا يفعل !! في مثل الكرم والكرامين (او ٩: ٢٠ - ١٩) نجد الكرامين - أي رؤساء الأمة اليهودية - يشيرون إلى ابن صاحب الكرم قائلين « هذا هو الوارث . هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث » ماذا يعني هذا ؟ يعني أنهم كانوا يعلمون جيدا أن هذا هو الابن الحبيب ، الوارث الوحيد ، صاحب الكرم الشرعي . إذا لم يكن القتل خطأ بل عمدا ! ولا عجب أن رأينا رؤساء الكهنة والكتبة يدركون فور سماعهم للمثل أنه يقصدهم ، فهم يعرفون حقيقة نفوسهم ، كانوا دارسين جيدا للناموس والأنبياء وبالتالي كل النبوات التي تتكلم عن المسيا الآتي ، آية نبوة منها لم تتحقق كاملة في المسيح من ميلاده حتي صلبه ؟ ولا واحدة . هذا بلا شك يؤكد لهم أنه المسيح « ابن المبارك » . لكنهم لما عرفوا ذلك لم يسلموه حقه في الكرم ، بل خافوا علي مراكزهم وامجادهم الأرضية ، ولم يرغبوا في التخلي عنها إذ أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله ، فسلموا أنفسهم للشيطان ففسد قلوبهم وأعمى بصيرتهم وشل إرادتهم وقادهم لقتل الابن الوحيد !! شيء واحد لم يكونوا علي علم به وهو أنهم بفعلتهم تلك انما يتممون مقاصد الله الأزلية ، في خلاص الجنس البشري . هؤلاء خارج نطاق شفاعة الرب تلك ، إذ أنه لا أمل في توبتهم ، لأن الذين استنبروا مرة وراوا عمل الروح القدس ، وسمعوا كلام الله الصالح ، وعينوا قوات الدهر الآتي ،

ثم قسوا قلوبهم وارتدوا إلى الوراء طمعا في مجد أرضي لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة (عب ٤: ٦ - ٦) . لاحظ يا أخي أننا لا نقول أنهم إذا تابوا وعادوا للرب فسوف يرفضهم ، كلا فالرب يقول « من يقبل إلي لا أخرجه خارجا » (يو ٢٧: ٦) ، لكننا نقول أنهم لن يستطيعوا التوبة والرجوع لأن استمرار رفض محبة الله انما يقسي القلب حتي يصير حجريا لا يتأثر بعد بأي شيء ، ولا يمكنه الندم والتوبة حتي ولو قام واحد من الأموات (لو ٣١: ١٦) . اليس هذا ما اثبتته الأيام ؟ بلي ، فعندما علم هؤلاء الرؤساء أنه قام لم يتوبوا بل أعطوا فضة للعسكر وأوصوهم أن يدعوا أن تلاميذه قد سرقوا الجسد وهم نيام !! وواصلوا اضطهادهم للتلاميذ رغم كل القوات التي كان الروح يجريها علي أيديهم !!

دعونا ننظر إلى أنفسنا قليلا ونقول أن هؤلاء القوم يشبهون رواد الكنائس في هذه الأيام ، الذين طامسا سمعوا وقراوا عن المخلص لكنهم لم يسلموه حياتهم بمسء ، ولم يتوبوا عن شرورهم حتي الآن ، بل كلما سمعوا يقسون قلوبهم ويخرجون كما دخلوا ، وباستمرار التأجيل واهمال فرص التوبة يتقسي القلب ولا يعود يتأثر بقرعات الروح القدس ، ويسكون المصير مرعبا !! حذار من الاهمال والتأجيل يا أخي .

من اذا المقصود بهذه الطلبة ؟ كانت عينا الرب وهو علي الصليب تريان من بين تلك الجموع الحاشدة غنما لا راعي لها ، لا تعرف شيئا ، لأنهم لم يعرفوا لما صلبوا رب المجد (اكو ٨: ٢) ، يتبعون القادة الدينيين طنا منهم أنهم بلا شك علي صواب . أنهم علي استعداد للتوبة لو علموا من هو هذا المصلوب ولماذا هو كذلك ، وكيف تمت فيه وبه كل مقاصد الله . وهذا ما حدث في يوم الخمسين مع الثلاثة الآلاف نفس ، هؤلاء لم يكونوا يعلمون ماذا يفعلون ، لكنهم لما علموا أن يسوع هذا الذي صلبوه قد جعله الله ربا ومسيحا ، نخسوا في قلوبهم وتابوا ، وعندئذ غفر لهم الآب بناء علي شفاعة الابن التي نحن بصدددها الآن . إذا لم تكن تلك الكلمات تصريرا بغفران أبدى حدث وقتها ، لكنه بمثابة « شيك علي بياض » يقدمه الابن ممهورا بدم ذبيحته الكفارية ، وكأنه يقول للآب « بحق دمي المسفوك هذا ، أقبل كل مجرم أنتم يأتي اليك تائبا مؤمنا من هؤلاء المسوقين الذين لا يعلمون ماذا يفعلون » .

ودعونا لا ننسى أيضا أن كل خطية نرتكبها ضد انسان ما انما هي مزدوجة الاتجاه ، فهي اساءة الي الله القدوس وهي ايضا اساءة الي الانسان الذى اخطانا اليه . ولكي تغفر تلك الخطية نحن نحتاج الي غفران كل من الله والشخص الذى اخطانا اليه . وهذه الخطية التي نحن بصدددها كانت موجهة الي كل من المسيح الذى لم يفعل شيئا يستحق الموت ، والى الله الذى اوصي أن لا تقتل . ولغفران هذه الخطية كان القوم يحتاجون الي غفران كل من الاثنين . ويمكننا بهذا الاعتبار أن نقول أن هذه الصلاة بمثابة تنازل المسيح الشخصي وغفرانه للاساءة الموجهة اليه ، اما غفران الاب للخطية وهو الغفران الأبدى ، فيظل منتظرا توبة وإيمان هؤلاء القوم .

اهمية مزدوجة

والآن بعد ما عرفنا معاني هذه الكلمات دعونا نعرف أهميتها لجمهور السامعين ، لماذا نطق بها الرب علي مسمع من الواقفين ؟

أولا : كانت خطية هؤلاء القوم علي قدر كبير جدا من البشاعة والاجرام لدرجة قد يفقد معها أحدهم - بعد معرفته لحقيقة خطيته - الأمل في أن تكون له توبة أو قبول بعد . فجاءت هذه الكلمات لتطمئنه وتؤكد له أن حب المسيح اكبر بكثير من خطاياه مهما عظمت ، وقوة دمه المسفوك كفيلا بأن تزيل كل اثم مهما كانت بشاعته . ما ائمن هذه الكلمات بالنسبة لك يا من تشكو من ثقل خطاياك وتشك في أن لها غفرانا !! ثق ، انها تؤكد لك أنه سيقبلك ان اتيت اليه تائبا ومؤمنا بموته الكفارى عنك وبدمه الذى يطهرك من كل خطية . ان كان قد قبل توبة صالبيه فبلاشك سيقبلك .

بلا شك كانت كلمات المسيح تلك من ائمن الكلمات بالنسبة لشاول الطرسوسى الذى كان مضطهدا ومجدفا ومفتريا علي تلاميذ الرب ، وقتلا للكثيرين من اتقيائه ، ولم يكن من السهل أن يصدق أن توبته يمكن قبولها . لكننا نسمعه يقول وكأنه يصادق علي كلمات المسيح هذه « لكني فعلت بجهل في عدم إيمان » (١٣: ١) . أنه كان من ضمن هؤلاء الذين لا يعرفون ماذا يفعلون !! الا تأتي الآن الي ذلك المخلص المحب تاركا خلفك كل خطايا الماضي التي قعلتها في جهل وعدم إيمان ؟!

ثانيا : ان هذه الكلمات تقدم لنا المثال الذى يحتذى به في معني وكيفية ومدى محبتنا للأعداء . ان الرب لا يتكلم فحسب بل يرفق كلامه بالعمل لكي يترك لنا مثلا نتبع خطواته (١بط ٢: ٢١) . ولقد كان استغافوس أحد القلائل الذين تعلموا هذا الدرس ، فبينما كانوا يرجونه جثا علي ركبتيه وصرخ بصوت عظيم « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (١ع ٧: ٦٠) .

هلا تعلمنا هذا الدرس ايها الاحباء ؟ هل نحب من يبغضونا ؟ هل نسلم لمن يقضي بعدل ولا نحاول أن ننتقم لانفسنا ؟ ان كلمة « يا ابتاه » هنا لها من المعاني الكثير ، فشقتي ان الله المسيطر علي كل الظروف هو نفسه ابي المعتني بي ، الذى لن يسمح لي بشيء الا اذا كان لخيرى (رو ٨: ٢٨) ، هذه الثقة هي التي تدفعني للصفح والغفران ، ويكون لسان حالي « اغفر لهم يا ابي ، فهم لا يعلمون أنهم يتممون مقاصدك الصالحة من نحوى » !! دعونا لا ننظر كثيرا الي شر الانسان والظروف المعاكسة ، بل بالحرى الي مقاصد الله العظيمة التي تقف وراء كل الظروف وتحولها للخير .

(٢)

لص في الفردوس

« اليوم تكون معي في الفردوس » (لو ٢٣: ٤٣) .

اتماما لنبوة في القديم (اش ٥٣: ١٢) ، بل وامتدادا طبيعيا لحياته الكريمة المحبة دائما للأمة والخطاة ، صلب الرب يسوع بين لصين واحد من هنا والآخر من هناك . وهذا المشهد الي جانب أنه يعبر عن مقدار التنازل العجيب الذى لربنا المبارك حتي أنه احصي مع ائمة ، الا أنه أيضا يعبر عن طبيعة مهمته ، فها هو يأخذ مكان وحكم المجرمين ، فقد كان الطبيعي والحتمى ان تكون انا وأنت في عداد هؤلاء الخطاة وفي وسطهم ونحمل قصاصنا الأبدى مثلهم ، وبالتالي عندما اراد الرب في نعمته ان يأخذ مكاننا وينوب عنا كان عليه ان يذهب الي هناك ويصلب في وسط الاثمة الفجار !!

ربما سمع هذان اللسان مرارا عن «يسوع» الذي من الناصرة ، الذي يصنع معجزات وآيات مذهشة ، لكن طالما جذبهم ابليس بعيدا عنه باهتمامات العالم وتعظم المعيشة والمال وسائر الشهوات . هذا الي جانب أن «يسوع» لم يكن يشر فضولهم لانه ليس ثمة فائدة مادية من ورائه ، ربما لو كان يستخدم قدراته في اثناء اتباعه لتبعه هذان اللسان مع كل شعب اسرائيل . لكن يسوع وعد اتباعه بالآلم والصعاب في الحياة الارضية ، ولهذا تجد أن من يتبعه حقا انما يتبعه لشخصه ، عن ايمان قلبي حقيقي وليس ابتغاء لمكسب ما . أن الرب حين يشبع الجموع سمكا يتكالبون عليه ، ولكن عندما يمضي الي المحاكمة والصلب يتركه الجميع ويهربون .

لكن يبدو أن الله لم يرد أن يحرمهما من فرصة اخيرة لمقابلة يسوع ، فكانا علي موعد معه في ظروف لم يتوقعاها اطلاقا ، وسط الجلادات والضربات والشتائم والعرق والدماء والآلم الرهيب والمسامير والصليب الخشن !! لكن أحدهما لم يدع تلك الفرصة تضيع بل اغتنمها فنجأ !! كم مرة سمعت يا اخي صوت الروح القدس يدعوك الي تسليم الحياة للمسيح وأنت جالس علي مقعد نظيف ومريح في بهو كنيسة مضيئة ، وسط انغام الموسيقى والترانيم المشجبة ، ومع ذلك خرجت كما أنت ؟! اي عذر لك ؟! أن كان هذا اللص قد تاب في مثل هذه الظروف فانت بلا شك لن تجد عذرا تستتر وراءه ، بل سيقوم هذا اللص في اليوم الاخير ويدبلك .

مطلب غريب !!

بعد أن تكونت لدينا فكرة وخلفية عن الظروف التي قيلت فيها العبارة موضوع تأملنا ، دعونا نقرب أكثر من مكان الصلبان وننصت ، فأحد المصلوبين يتحدث الي الرب : « أن كنت ابن الله فخلص نفسك وابانا » !!

غريزة حب البقاء غريزة طبيعية في الانسان تجعله يتشبث بالحياة حتي آخر لحظة . فطبعي اذا أن يتمني هذان اللسان - رغم أنهما صارا قاب قوسين أو أدنى من الموت - أن يعودوا الي الحياة مرة أخرى . وهناك أيضا ما يزكي هذه الغريزة الطبيعية في الانسان وهو أولا خوفه من المستقبل المجهول ومن مقابلة الله الذي يعلم الانسان جيدا أنه قد خالفه ولم يحفظ وصاياه . وثانيا حبه للأرضيات التي وضع كل قلبه وأمله عليها ، وبذل

عمره في سبيلها ، كيف يتركها هكذا في لحظة ؟! هذا أمر صعب !! هذان السببان هما أساس كل خوف الانسان من الموت . لكن اذا صار المستقبل مضمونا وسعيدا علي أساس عمل المسيح الكفاري ، واذا صار القلب يشترق الي السماويات ولا يلتفت للأرضيات ، عندئذ تجد الانسان يتحرر من كل خوف بل يصبح الموت بالنسبة له ربحا (في ٢١:١) !! اذ ينقله من دنيا الشقاء والدموع الي سماء المجد والخلود .

لكن هل كان هذا فقط هو الذي دفع ذلك اللص لأن يقول للرب هذا القول ؟ كلا ، كان هناك شيء بل بالحري شخص آخر دفعه لهذا القول ، شخص نستطيع أن نميزه من افته ، أنه هو الذي قال للرب قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات « أن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا » ، هل تلاحظ هذا المقطع المشترك « أن كنت ابن الله » ؟! نعم أنه ابليس الذي كان اهتمامه في تلك اللحظات الرهيبة أن ينزل الرب عن الصليب ولا يتمم عمل الفداء !! فبعدما فشل في تجربة الرب علي الجبل حرض بطرس لكي يقول له « حاشاك يارب أن تصلب » ، ولما التفت الرب الي الصوت لم يبصر بطرس بل الشيطان المحرض فأنتهره قائلا « اذهب عني يا شيطان »! وبعدما فشلت الضربات والجلادات والآلام والتعابير في أن تثني عزم الرب وتضييعه علي اكمال الفداء ، ها هو ابليس يحرض الجموع الواقفين عند الصليب كي يصرخوا « أن كنت ابن الله فأنزل عن الصليب » (مت ٢٧: ٤٤) ، وها هو يدخل حتي في ذلك اللص ويحرضه علي نفس القول .

كان الشيطان يعلم جيدا أن الرب اذا استمر في عمل الفداء حتي يكمله فستكون هذه هي نهاية مملكة ابليس الي الابد ، ونهاية سلطانه علي البشر ، وستكون الوسيلة التي بها سيسحق الرب رأسه !! ولو فتح الرب اعين الواقفين لراوا كل جنود الجحيم ملتفة حول هضبة الجلجثة في محاولة لانزال الرب عن الصليب أو قتله قبل اتمام الفداء . لكن شكرا للرب الذي مضى قدما في عمله الكفاري حتي اكمله ، فنجونا نحن !!

أم يكلف الرب نفسه عناء الاجابة علي هذا المطلب لسببين : اولهما أن هذين المجرمين في حاجة الي خلاص نفسيهما من الجحيم ، وهذا هو الاكثر أهمية من خلاص الجسد ، والا هم ينبغي أن يوضع أولا ، لانه ماذا

ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ولهذا قد اوصانا قائلا : « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم » (مت ٣٣: ٦) . وثانيهما انهما في ذلك الوقت كانا بنالان جزاء عادلا لتعديهما علي شرائع الله والبلاد ، ولو انقذهما الرب من الموت لكان بهذا محرضا علي عصيان الله والحكومات ، وحاشا له ، فهو الذي امرنا ان نخضع للرياسات والسلطين المرتبة من الله (بطس ١: ٣) .

مطلب عظيم !!

والآن وبعدما وايا انه لا فائدة من محاولة انقاذ نفسيهما من الموت ، اذ بأحدهما يرفع ناظره الي اعلي وينظر الي ما لا نهاية ، لأول مرة تسنح له فرصة لكي يفكر في المستقبل الابدي والحياة الاخرى . وكأنه يرى في السحب السيارة صورة لحياته التي مضت كسحابة وها هي توشك ان تختفي من الوجود بلا اثر او فائدة . وكأنه يرى في قبة السماء محطة الوصول التي سيصلها بعد قليل ، عند ذلك الاله الذي لم يفكر فيه طوال حياته الاثيمة . وكأنه يرى في الشمس المحرقة التي تلهب جسده صورة مصغرة للدينونة التي تنتظره ويستحقها عن جدارة . عندئذ شعر بخزيه وشره امام ذلك القدوس المصلوب بجواره ، الذي عاش حياة طاهرة نقية نافعة ومفيدة للجميع ، والتفت الي زميله الآخر وانتهره قائلا « او لا انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينه ، اما نحن فنبعد لاننا نعال استحقاق ما فعلنا . واما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله » (لو ٢٣: ٤٠ ، ٤١) .

ماذا تعني هذه الكلمات ؟ تعني شيئين :

- ١ - اعتراف اللص بأنه خاطيء يستحق ما هو فيه من عقاب .
- ٢ - اعترافه بأن هذا المصلوب بينهما انما هو انسان صالح لم يفعل شيئا ليس في محله .

ما اعظم هذه الخطوة ، الاعتراف بالخطية والايمان بصلاح الرب . لكن هل هذا يكفي ؟ كلا ، فكثيرون يعترفون بانهم خطاة ، واكثر منهم هم الذين يعترفون بأن « يسوع الناصري » كان نبيا صالحا . لكن ليس هذا هو

المطلوب للحصول علي الغفران ، لذلك ظل الرب صامتا حتي بعدما تقوه اللص بهذا القول .

عندئذ التفت اللص الي الرب ، وتامل وجهه الدامي ، وجسمه الممزق ، وتامل دموعه التي تنساب بهدوء علي وجنتيه وهو يقول « اغفر لهم يا ابتاه » . وربما دار في ذهنه في تلك اللحظات اقوال سمعها منذ زمن طويل ، عندما حضر المجمع في أحد ايام السبت ، ايام الصبا وقبل ان يجرفه تيار الشر والخطية . هناك سمع ان نبيا قد تنبا عن المسيح انه سيكون محتقرا ومردولا من الناس ، وانه سيذبح مثل شاة صامته (اش ٥٣) ، وربما اثرت تلك الاقوال في قلبه الغض آنذاك ، لكن توالى الايام وعلا ضجيجها علي تلك الاقوال ، ولكنها ها هي فجأة تعود للظهور مرة اخرى في ذهنه ، حتما هذا هو المسيح المقصود ، ملك اليهود !! وفجأة ينتبه الرجل من تفكيره ويفتح فاه ونسمعه يقول :

« اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك » .

هذه الكلمات تحمل معنيين هامين للغاية :

١ - هي اولا تحمل معني « الايمان » يسوع انه هو المسيح ابن المبارك ، المخلص المنتظر . بل اكثر فهو « الرب » نفسه . بل اكثر جدا فهو يعترف ويؤمن بملكوت الرب الآتي ، ويدهي اذا انه كان يؤمن بقيامة الاموات الامر الذي رفض الصدوقيون الايمان به !! ما هذا ، كل هذا الايمان ؟ رغم انه لا يوجد في الظواهر والشواهد المحيطة بالصليب - حتي هذه اللحظة - ما يشير الي اى من هذه الحقائق ، ومن اين اتى بهذه الحقائق المستقبلية الخاصة بمجيء الرب وملكوته ؟! دعونا لا نتعجب ، فهذا الايمان بلا شك ليس من عنديات ذلك اللص بل هو عطية له من الله (اف ٨: ٢) ، فانه يعطي الايمان لمن يجد في قلبه الندم والتوبة والاستعداد للقبول . وهذا الايمان الموهوب لا تسأل عن قدراته ، فهو يستطيع ان ينفذ بصره مخترقا السحب والضباب ومتخطيا كل العقبات والمنظورات حتي يصل الي ما لا يرى بل بالحرى الي من لا يرى ، الي الرب في مجده وسلطانه !!

٢ - اما ثانيا فهذه الكلمات تحمل في طياتها طلبا والتماسا : « اذكرني » .

لم يطلب الرجل شيئاً محدداً من الرب كان ينجيه من الموت أو من جهنم . . . لكنه أحال أمره كلية الى مراحم الرب ونعمته ، فهو طلب خال تماماً من أية حيثيات أو دوافع تجعل الرب يستجيب له ، فالرجل ليس لديه أى استحقاق بالمرّة ، ولم يفعل شيئاً حسناً في حياته الماضية ، ولكنه الآن يرى في المسيح ليس فقط « الرب الملك » بل أيضاً « الشقيع المخلص » ، فيلقي بكل ثقله علي رحمته وعلي عمله الكفاري ، تماماً مثل هذا العشار الذي قال « اللهم ارحمني أنا الخاطيء » (لو ١٨ : ١٣) ، فمن جهتي أنا ليس لدى سوى الخطية ، لكنني ملتجئ الي رحمتك التي ظهرت في الصليب . وفي الواقع هذا هو المطلوب من الانسان : الثقة الكاملة في نعمة الرب وكفاية صليبه لاجل خلاصنا دون أن نعتد ولو في جزء ضئيل من رجائنا علي شيء صالح فينا ، فنحن لا يسكن في جسدنا شيء صالح بالمرّة (رو ١٨ : ٧) . اخي هل تضع نفسك مكان هذا اللص التائب النادم وتلقي بنفسك الآن علي نعمة الله التي ظهرت في صليب ربنا يسوع المسيح السدي مات نيابة عنك ، وتطلب الغفران والخلاص ؟ أم مازلت تتمسك بأذيال برك الذاتى واعمالك التي تظنها صالحة حتي تجرك الي قاع الجحيم ؟!

وهكذا نرى ان اللص بعدما « اعترف » بخطيته ، و« سلم » بان الرب صالح ، نجده يتبع هذا « بالايمان » أى الثقة في شخص المسيح المخلص ، و« يطلب » الرحمة والعفو . لذلك فالرب الذي لم يفتح فاه بكلمة يشفي بها غليل هيرودس الملك الجبار ، نجده الآن يسرع بالرد علي هذا اللص المصلوب ! والسري في ذلك هو لغة الايمان والانكسار الظاهرة في طلب اللص ، بعكس الكبرياء والعجرفة التي كانت في قلب هيرودس . هناك كثيرون يصلون كل يوم في الكنائس بلا استجابة . ما السبب ؟ قلوبهم ليست منكسرة ولا منسحقة ولا شاعرة بعدم استحقاقها ، بل منتفخة مكتفية بصلاحها . ألم يقل النبي في القديم « القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧) ؟

استجابة اعظم !!

ها هو الرب يفتح فاه رغم انه في شدة الألم والضنك ويقول بلغته الرقيقة المعزية « الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس » . يا لها

من بشارة لا يمكن ادراك أعماقها !! هل تتصور يا اخي ما معني أن يكون لص أثيم ، لم يفعل شيئاً حسناً طوال حياته ، في طريقه بل بينه وبين الجحيم خطوة واحدة ، وفجأة في لحظة ، ينشل من هناك وينقل الي الفردوس مع القديسين والابرار الي الابد ؟! هل تدرك ما تعنيه الحياة الأبدية لنفس مائتة في الذنوب والآثام ؟ هل تعي ما تعنيه المياه الباردة لنفس ظائمة في صحراء قانطة ؟ هذا هو الخلاص ، هذا هو الانجيل !!

ان هذا الخلاص الثمين مقدم الي كل من أدرك نجاسته وفشله في ارضاء الله ، وعرف انه هالك لا محالة ، وعندئذ يثق بل يلقي رجاءه بالكامل علي كفارة وفداء المسيح ، الذي حمل عنا كل قصاص عادل ، ماذا كان يمكن لهذا اللص أن يفعل لخلاص نفسه وهو مصلوب هكذا ؟ بل ماذا يمكن لأي انسان ميت بالذنوب والخطايا أن يفعل ؟ لا شيء بالمرّة ، فهذه هي نعمة الله التي تبرر الفاجر مجاناً (رو ٢٤ : ٣ ، ٥ : ٤) .

ورب سائل يعترض قائلاً : ان خطايا هذا المجرم ينبغي أن تدان من الله . أجل ! لكنها في الواقع قد ادينّت فعلاً ، كل ما في الأمر ان دينونتها وقعت علي شخص المسيح كالبديل والتائب عن اللص التائب . اما دينونتها بحسب الناس جزاء كسره لقوانين الدولة فها هو ينال بعدل استحقاق ما فعل ، وهكذا يكون حق الله والناس قد أوفي ، وهكذا يرقد مستريح البال ، ويذهب الي الفردوس لينضم الي أصحاب الأرواح المبررة والمفسولة بالدم !! وبهذا يكون هذا اللص هو أول من استفاد من شفاعة المسيح التي قدمها الي كل مجرم عندما قال « اغفر لهم يا ابتاه » ، طوبى له .

ان ما ناله هذا اللص كان بلا شك أكثر مما طلب ، وفوق كل ما يمكن ان يفكر : فقد نال غفراناً وتبريراً كاملاً وفورياً « اليوم » . وهذا ينبغي تماماً فكرة أن الروح بعد انفصالها عن الجسد تبقى في مكان أنتظار قبلما يتقرر مصيرها . فالحقيقة أن لحظة خروج الروح من الجسد تصل الي مقرها الأبدى سواء كان الفردوس أو الهاوية .

وقد نال أيضاً سعادة أبدية في شركة مع الرب « معي » . فالفردوس وحده لا يكفي ، بل أن السعادة الحقيقية هي في الشركة مع الرب ، فهذا هو الذي جعل الفردوس فردوساً !! بل حتي اذا كان المؤمن في شركة مع

الرب في وسط جحيم اضطرابات هذه الحياة فهو يتحول الي فردوس ،
وتصبح نيران الاتون المحمأة سبعة أضعاف روضة منعشة ، وجب الاسود
جنة !! بل ان الفردوس بالنسبة لهذا اللص بدا من فوق الصليب !!

بل ان هذا اللص نال من الرب ثقة و يقينا « الحق اقول لك » . فهل
نظن يا اخي انه بعد ان سمع هذا الوعد المطمئن من الرب يمكن ان يقضي
المحظات الباقية من عمره في شك وحيرة من جهة مصيره الأبدى ؟ مستحيل ،
والا اعتبر انه غير واثق في الرب ووعدده ، وحاشا للرب ان لا تثق في كلامه .
حسنا ، فماذا عن المؤمنين الذين يقضون حياتهم في شك وريبة وتساؤل عما
اذا كانوا مخلصين حقاً ام لا ، وهذا في حقيقة الامر شك وعدم ايمان في وعود
الرب التي تؤكد لكل مؤمن حقيقي ان له حياة أبدية لا يمكن ان تفقد ، وانه
ان يأتي الي دينونة بل قد انتقل من الموت الي الحياة (يو ١٦: ٣ ، ٣٦ - ٥ :
٢٤ - ٢٨ : ١٠ ، رو ١ : ٨ . هذا بغض النظر عن المشاعر ، فالمشاعر متقلبة
لا تثبت علي حال ، لكننا لا نبني رجاءنا علي مجموعة مشاعر متقلبة والا لكان
رجاء واهيا متداعيا ، بل ليس رجاء علي الاطلاق ، لان الرجاء الذي يعتمد
علي المحسوسات والمشاعر ليس برجاء (رو ٢٤ : ٨) ، بل نبني رجاءنا علي
صخرة كلام الله ووعوده غير المتزعزعة (مت ٢٤ : ٧) . لقد بدا الفردوس فعلا
من فوق الصليب الخشن المؤلم ، ونستطيع ان نلمح علامات السلام والفرح
الظاهرة علي وجه اللص الدامي ، لاننا بعد ان تبررنا بالايمان لنا سلام مع
الله (رو ١ : ٥) .

ان ظروف ذلك اللص تؤكد لنا ان الخلاص لا يحتاج الي اماكن محددة
او طقوس معينة ، والا لو كان هذا صحيحا لما كان هذا اللص قد نال الغفران
وهو معلق هكذا بين السماء والارض فوق هضبة الجلجثة الجذباء . شرط
واحد هو اللازم ، التوبة الاكيدة من القلب والثقة الكاملة في شخص المسيح .
وبما ان الرب فاحص القلوب موجود في كل مكان وكل ظرف ، فانك تستطيع
الاتصال به في كل مكان وكل وقت . تستطيع ان ترفع قلبك الان - اذا شعرت
بحاجتك اليه - اينما كنت : في المنزل ، في العمل ، في القطار ... وسوف
تختبر عمليا معنى وجود الرب بقربك .

لاحظ اخيرا ان كثيرين سمعوا قول المسيح « اغفر لهم » ، لكن واحدا
فقط هو الذي اقتنص الفرصة وخطا بالايمان خطوة التوبة فنال الغفران ،
بينما الباقون سمعوا وتمجبوا ومضوا كما هم !! وانت ايها الحبيب ، هل
انت من معشر السامعين فقط ، الخادمين انفسهم ، ام السامعين العاملين
بالكلمة ؟ ليتك تفتح قلبك الان للمخلص المصلوب عنك ، ليتك تؤمن به . انه
يحبك شخصيا ، فهل تحبه ؟

(٣)

عطب واشفاق

(« يا امرأة هوذا ابنك .. هوذا امك ») (يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٧)

ما اغرب هذا الحشد من البشر ، وما اشد تباينه !! فنحن نجد فيه
فئة من اولئك الجنود الرومان الغلاظ ، ذوى القلوب الصخرية التي تستلذ
تعذيب الآخرين . وهناك الكهنة والكتبة الذين تكاد قلوبهم تنفجر حسدا
وبغضة ، وتشع عيونهم مكرًا وخبثًا . والي جوار هؤلاء نجد « المتساقين » ،
اولئك الذين يصرخون « اصلبه . دمه علينا وعلي اولادنا » وهم لا يعلمون
من الامر سوى ما قاله لهم رؤساؤهم ، عميان يسرون خلف عميان !! وايضا
نجد في وسط هذا الحشد قوما ذوى قلوب رحيمة ، معظمهم ممن شفي
يسوع مرضاهم واحسن الي فقرائهم ، هؤلاء هم الباكون الذين يقرعون
صدورهم حزنا والما علي الرب ، هؤلاء اهتم الرب بأن يصحح لهم فكرهم ،
لانه ان كان كل ما في الامر مجرد مشاعر اشفاق انسانية فالاولي بهم اذا ان
ييكوا علي انفسهم وعلي اولادهم ، لانه بعد قليل سيكون حالهم اكثر مدعاة
للأسف من حال الرب ، لانه اذا كانوا - الرومان - قد فعلوا هكذا بالعود
الرطب - يسوع - فكم سيفعلون بالعود الجاف - اسرائيل ؟ سيحرقونه
بالنار .

لكن ما يعيننا نحن هنا هم فئة خامسة قليلة العدد ممن تبصروا الرب

أثناء خدمته وآمنوا به أنه هو المسيح الرب ، بفض النظر عن قوة هذا الإيمان أو ضعفه ، عمقه أو ضحائه ، فالرب يقدر الإيمان حتي وأن كان مثل حبة الخردل ، ويستطيع أن يميز أية نبضة حب خالص في قلوبنا من نحوه . كانت دموع هذه الفئة تختلف عن دموع الفئة السابقة ، فهي ليست مجرد دموع اشفاق علي انسان يتألم ، بل هي دموع المحب حين يودع حبيبه الي غير رجعة . هي دموع المحب حين يتألم لآلم حبيبه خاصة اذا كان لا يفهم سبب الآلم . هؤلاء القوم الذين تبعوا الرب في كل مراحل حياته علي الأرض بالجسد حتي الي الصليب ، لابد أنهم اختبروه بالحق ، وارتبطت قلوبهم به برباط أبدي لا تفصمه شدائد أو ضيق أو اضطهاد أو جوع أو عرى أو خطر أو سيف (رو ٨: ٣٥) . أن المسيحي الحقيقي هو الذي يتبع خطوات سيده في درب الأحزان والطريق الضيق . أما أولئك الذين متى حدث اضطهاد لأجل الكلمة فحالا يعثرون ، أولئك هم مسيحيون مزيفون !!

اتماما لنسبة في القديم (مز ١١٠: ٢٨) ، وقف احباء الرب بعيدا ينظرونه بألم ، ويخشون الاقتراب لئلا يقع بهم الجنود اذى ، لكن هناك اثنين فقط استطاعا أن يجتازا الزحام بمشقة حتي وصلا أسفل الصليب ، غير مباين بنظرات الاستفهام وهمهمات السماتة التي حولهم ، أحدهما هو ذلك التلميذ الذي اعتاد دائما أن يكون في أقرب مكان من قلب الرب يسوع ، علي صدره ، ولكن الآن وقد حالت الظروف دونه وصدر يسوع فليس أقل من أن يكون أسفل صليبه . ليت قلوبنا تتعلق بسيدنا هكذا فنكون دائما بقربه : حتي وسط الآلم والاضطهاد . أما ثاني الاثنين فقد كانت هي السيدة القديسة العذراء مريم أم يسوع . أنها الآن تفهم وتدرک - لأول مرة - ما كانت تعنيه كلمات ذاك الرجل الشيخ الذي قابلها علي أبواب الهيكل منذ نحو ثلاثة وثلاثين عاما ، عندما قال لها « وانت سيجوز في نفسك سيف » (لو ٢: ٣٥) . ها هو الآن قلبها ينفرط حزنا وألما علي ابنها المصلوب ، وتستند علي ذراع يوحنا لئلا تخونها قواها فتسقط تحت أقدام هذه الجموع . أما نظرها فقد كان معلقا بوجه يسوع وحده ، لا ترى في المشهد سواه ، وهي تتمنى أن يقول لها شيئا . لكن ها هو يرفع نظره الي أعلى ويحرك شفتيه ، واذ تصفي بكل حواسها تجده يخاطب شخصا آخر كان يغيب عن ذهنها في غمرة التوتير والآلم - كما يحدث عادة معنا - « يا ابتاه »! حقا ، هذا هو الترتيب

المنطقي ، فأبوه السماوي هو האחق بالتكلم اليه أولا قبل أي انسان مهما كان ، وكأنه بهذا يعيد الي ذهنها قوله القديم « ألم تعلمنا أنه ينبغي أن يكون فيما لأبي ؟ » . وهناك شيء آخر ، فكانه يقول لها : لا تجزعي فحتي هذه الآلام القاسية هي من يد أبي . هو - من خلف الستار - يتحكم ويسيطر علي كل ما يجري في الأرض ، وهو يهدف بهذه الآلام لفرض سام ، خلاص نفوسكم .

والآن ها هو يعود فينكس رأسه وتلتقي عيناه الحائيتان بعينيها الدامعتين فيفتح فاه ويقول « يا امرأة هوذا ابنك » . وبلغت الي التلميذ الآخر - أي يوحنا - قائلا « هوذا أمك » . دعونا نتأمل برهة في هذه الكلمات :

✱ « يا امرأة » : وهذا ليس تقليلا من شأنها ، فالكلمة تعني في الأصل « سيدة » ، أي أنها تحمل كل احترام وتقدير . وهي نفس الكلمة التي قالها لها في عرس قانا الجليل (يو ٤: ٢) . بل ما يدعونا لتعظيم نعمة الله حقا أنه نفس اللفظ الذي خاطب به المرأة التي أمسكت في ذات الفعل (يو ٨: ١٠) ، لقد رفعها بهذا اللفظ لمرتبة عالية من الاحترام ، بينما المسكون بها كانوا يسمونها « مثل هذه »! وهكذا يفعل الرب لكل من يقبل اليه : بكرمه ويرفعه ليجلس مع الشرفاء (مز ٨١: ١١٣) .

لكن لماذا يخاطب الرب امه هكذا بدون العاب مثل « يا اماه »؟ قال رجل الله « كروماخر » أن الالتاب العاطفية قد تزيد من جروح قلبها المكسوم وقد تعرضها ايضا لوفاحة الجمع . لكن التفسير الأهم هو أنه يريد أن يلفت انظارها وأنظارنا الي أنه هنا علي الصليب « حمل الله » الذي يرفع خطية العالم ، أنه هنا ملك للجميع علي حد سواء ، ملك لكل من يؤمن به ، فالعلاقة الجسدية الزمنية ينبغي أن تسمو الي علاقة أسمى وأعظم ، علاقة روحية بين المخلص والمخلصين ، المقدس والمقدسين ، علاقة يكون فيها الأم والأخ والاخت هم أولئك الذين يسمعون كلامه ويعلمون به (لو ٨: ٢٠) ، علاقة أوسع وأشمل . ألم يقل يوحنا الرسول « ان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد (حسب الجسد) » (٢ كو ٥: ١٦)؟ وهذا لا يقلل إطلاقا من شأن القديسة العذراء ، فهي التي قالت يوما « تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي » (لو ١: ٤٧) ، بل بالحري يجعل جميع الأجيال تطوبها علي خضوعها وتواضعها وإيمانها .

* « هوذا ابنك » : هل يوجد من يستطيع أن يحل محل الرب يسوع بحسب الجسد ، كابن بار ، في حياة مريم ؟ أن أصلح من يقوم بهذا الدور هو يوحنا الذي تشبع وتفدى بمحبة المسيح . فالإيمان والحماس فقط لا يستطيعان أن يقوما بدور الابن الحنون لتلك الأم المسكومة ، لأنهما بدون المحبة ليسا سوى نحاس يطن أو صنج يرن (١ كو ١٣ : ١) . ليت أحشاءنا تكون أحشاء رافات المسيح علي كل من حولنا ، بهذا نستطيع أن نثبت أننا ذقنا واختبرنا محبة الرب فعلا .

* « هوذا أمك » : يا له من شرف !! أن يختاره الرب للقيام بهذه المهمة . لكن هذا هو جزاء كل من يتبع الرب ويكون آمينا الي الموت ، فهذا الطلب ينطوي علي ثقة الرب الكاملة في يوحنا بأنه سيكون جديرا بالمسئولية المطلوبة منه . ومن هو هذا الذي يثق فيه الرب ويحمله مسئولية خدمته ؟ الا الذي لا يبالي بالتجارب والتعيرات بل يتبع سيده حتي الي الصليب ، لقد قال في القديم « حاشا لي . فاني اكرم الذين يكرموني والذين يحتقرونني يصفرون » (١ صم ٣٠ : ٢) . أن تبعنا الرب الهنا تماما (يش ٨ : ١٤) ، فلا بد أن يكرمنا ويكافئنا ، لأننا ان كنا نتألم معه فلا بد أن نتمجد ايضا معه (رومية ٨ : ١٧) .

بل أليست رعاية أم المخلص شرفا عظيما ؟ بلى ، فهي تحتاج الآن الي من يحميها ويطيّب خاطرها ويعزيها ويعمل علي راحتها ، وعليه أن يقوم بهذا علي أكمل وجه كما لو كانت أمه . الا تعيد هذه الكلمات الي أذهاننا قول الرب « ليس أحد ترك بيتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما ... لأجلي ولاجل الانجيل ، الا وباخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان ببوتا وأخوة ... وأمهات » (مر ٢٩ : ١) ؟ أنها أم واحدة لكنها بمثابة مئة أم !! فيوحنا الذي ترك يوما ما أباه وعائلته والسفن والشباك ليتبع الرب ، ها هو الآن يجد له أما حنونا . لا تنأسف يا أخي علي ما ستركه في سبيل الرب ، فهو أعظم من كل شيء ، وثق أن كل خيرات السماء لك (تك ٢٠ : ٤٥) ، ثقل مجد أبدى !!

* * *

من قال أن المسيحية لا تعني بالحياة الاجتماعية ، وأنها — فقط — تعني بالحياة الروحية ؟ أن هذه الكلمات التي نحن بصدها تنفي ذلك نفيا تاما .

فالمسيحية وان كانت تضع « الأب » السماوي وعلاقتنا به في المقام الاول اللائق به ، فهي تضع « الأم والابن » في المقام التالي مباشرة . وان كان الرب وهو في اشد الألم لم ينس المحيطين به فهذا يعلمنا كيف نعني بأقربائنا ونفضلهم عن أنفسنا ونفكر قبيح أكثر مما نفكر بما لنا . دعونا اذا نضع امورنا وأقربائنا وأنفسنا في يدي الأب الحنون ، الحصن الحصين ، والمُلجأ الأمين ، الذي يبقى هو هو الي الشيخوخة والي الشيبة هو يحمل (اش ٤٦ : ٤) .

* * *

(٤)

لماذا تركتني ؟

« الهي الهي لماذا تركتني ؟ » (مت ٢٧ : ٤٦)

بعدما أنتهي الرب من سد احتياجات الانسان ، طلب الصفع لصابيه ، وغفر للتائب الوحيد ، وضمن سلامة أحبائه المؤمنين ، وبعد أن تلفت فلم يجد أحدا آخر يطلب معونة ، عندئذ رفع بصره الي السماء ليوفي حق الله .

لكن يا لهول ما رأى !! فهذه هي المرة الوحيدة التي يرفع فيها بصره الي الله ولا يراه !! لقد وجد ظلمة كثيفة تلمه وتحجب عنه الأب (لو ٢٣ : ٤٤) . وما حز قى نفسه ان هذه الظلمة لم تكن من صنع البشر أو الطبيعة أو حتي الجحيم ، لان هؤلاء مجتمعين لا يستطيعون أن يفصلوا بين الابن الحبيب وأبيه أو بين أي مؤمن وبين الرب (رو ٨ : ٣٨ - ٣٩) ، بل كانت الظلمة من صنع الأب نفسه ، لقد حجب وجهه مرأى المسيح ، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الابن أن يحتمله صامتا فصرخ « الهي الهي لماذا تركتني .. ان يتركني أحبائي وأصدقائي أمر مؤلم للغاية لكن أن تتركني أنت فهذا ما لا أحتمله » !!

ما هذه الظلمة يا ترى ؟ الي ماذا تشير ؟ قد تشير الي حزن الطبيعة علي ربها المصلوب . وبالطبع قد تشير الي جحافل الشياطين التي كانت تحيط بالصليب في تلك اللحظة ، ألم يجتمع علي الرب في تلك الساعة « ظلمة

هذا الدهر » (١٢:٦) بل قد تشير كذلك الى مقدار الكتابة التي طبقت على نفس المخلصين .

لكنها في اعتقادي تشير الى خطايانا نحن ، لان الخطية هي الشيء الوحيد الذي يفصل بين الانسان والله القدوس (اش ٢:٥٩) . طالما كان الرب معلقا على الصليب بدون خطايا - وذلك خلال الثلاث الساعات الاولى - كانت العلاقة بينه وبين الاب مستمرة ، فمهما يفعل البشر لا يمكن ان يفصلوا بينهما . دعوا البشر يشتمون ويعيرون ويضربون ويصلبون ويظهرون شر قلوبهم القاسية ، فهذا لن يضر المؤمن قدر ما تضره خطية واحدة !!

لكن مهلا ، فالرب لم يذهب الى الصليب لكي يتالم من البشر ، فكل ما رايناه حتي هذه اللحظة من الآم سببها البشر كان فصلا اضافيا في قصة الفداء العظيمة ، اضيف لكي يبرهن عن مدى شر الانسان وفشله التام في التجاوب مع الله . لكن المهمة الحقيقية ولب عمل الفداء يبدأ من الآن ، عندما حلت الظلمة الدامسة فأخفت المصلوب عن عيون الأعداء ، عندئذ وضع الاب كل آثامنا وخطايانا علي كاهل المخلص ، تمهيدا لوقوع الدينونة عليه نيابة عنا . وبمجرد أن وضعت الخطايا عليه حتي أخفى الاب وجهه عنه ، وما أقساه من فراق !! لكن قبل ان نتقدم - بكل خشوع - لبحث المشهد الذي امامنا ، دعونا نوضح أمرا لا بد منه :

ان هذا الفراق لم يكن بين الاقانيم الالهية ، حاشا . فالله واحد من الازل والى الابد ، لكن الفراق كان بين « الانسان » يسوع المسيح وبين الاب . ولهذا نلاحظ ان المسيح قال هنا « الهى » ولم يقل « يا ابتاه » كما سمعناه منذ قليل وكما سنسمعه قبل أن يسلم الروح ، برهاننا علي انه هنا يتكلم بصفته انسانا ، أى بناسوته ، طبيعته البشرية ، فانسان حجب عنه « الهه » وجهه . فالحقيقة التي يجب الا ننساها هي ان المسيح انسان كامل (يو ٤: ٥٨) ، روحا ونفسا وجسدا ، بهذا الجسد ولد واكل وتعب ومات وقام . لكنه لم يكن انسانا فقط ، فلو كان المسيح مجرد انسان لكان موته يكفر عن انسان واحد ، ولكن لانه كان الهيا متناسا بموته كفر عن العالم كله (٢: ٢) . وان كان اللاهوت قد ظل متحدا بالناسوت الا انه لم يتأثر بشيء من الخطية والعذاب والموت ، فهذا حدث للناسوت فقط .

نعود لموضوعنا ، لقد كان الظلام ايدانا بنهاية دور الانسان في مشهد الصليب وبداية دور الله . فبمجرد ان حدث الظلام حتي فزع الناس وهرع كل واحد في طريق متوقعين كوارث طبيعية او شيئا من هذا القبيل ، تاركين المخلص يواجه غضب الله . عجبنا لهؤلاء الذين فزعوا من مجرد ظلمة حدثت لشمس الطبيعة بينما هم قد صلبوا منذ قليل شمس البر نفسه بلا أية خشية !! وعجبنا لهؤلاء الذين يخافون الظلام الوقتي هذا ولا يحسبون حسابا لآبدية أشد حلكة !! وعجبنا لهؤلاء الذين لم يتوبوا ويندموا علي شرهم حتي بعد ان رأوا من الطبيعة الثائرة ان هذا الانسان كان بالحقيقة بارا (لو ٢٣: ٤٧) . حقا ان من لا يسمع لكلمة الله الهادئة لا يؤمن ولو قام واحد من الاموات (لو ٣١: ١٦) . هل تخشي ايها القارىء من كوارث واضطرابات هذه الحياة ؟ اذا فالحري بك ان تخشي الله السدى له سلطان ان يلقي الجسد والنفس كليهما في جهنم !!

✱ « الهى الهى » : لماذا قال الرب « الهى » ؟ هل لان صفة البنوية التي كانت صيغة كلامه من قبل قد انتفت عنه الآن ؟ حاشا ، كل ما في الأمر انه هنا لا يخاطب الاب بصفته الابن الحبيب البار ، بل بصفته نائب المجرمين الأئمة الفجار !! فهل كنا نحن متي وقفنا امام العرش الأبيض العظيم للدينونة نستطيع ان نقول « يا ابتاه » ؟ كلا البتة ، فقد كنا من أب هو ابليس (يو ٨: ٤٤) ، ان أقصي ما نستطيع ان نقوله آنذاك « يا الهنا » ، فهو خالقنا وبارينا ، لذلك قال الرب هنا ما كان سيقوله كل واحد منا ، لانه هنا يتوب هنا .

ولماذا كررها مرتين ؟ لان الظلمة كانت كثيفة ، والهوة كانت سحيقة ، والمسافة كانت بعيدة ، والدينونة كانت رهيبة ، والصرخة كانت بلا جواب !! لم تكن هذه الصرخة من هذا النوع الذي يجاب عليه فورا كصرخة اللص التي تأملناها لتونا ، بل من ذلك النوع الأقرب الي الحسرة والياس والتعبير عن الألم ، أكثر مما هو تساؤل . فالرب يعرف جيدا سر هذا التحول الوقتي وسببه ، لكنه يصبر عن ألمه وعذابه !! دعونا ننحني بخشوع ورهبة امام ذلك القلب المكسر المتالم .

والرب أيضا يكررها هنا تأكيدا لتمسكه بالله رغم الألم والعذاب ، فهو يعلم ان أباه هو المسبب لهذا العذاب وليس البشر مهما قسوا ، ولا

الطبيعة مهما ثارت ، وهو يعلم أيضا أن الآب هو الوحيد الذي سيكشف الظلمة عندما يستوفي عدله القصاص المعين كاملا .

* « لماذا تركتني ؟ » : ياله من سؤال لا يمكن أن يسأله إنسان ! فكل إنسان مهما كان باراً ، إلا أنه بلا شك يخطئ ولا يستحق في ذاته أن يكون الله معه . حتى أيوب ظن أنه بار وأنه صاحب حق على الله يلزمه بأن يكون معه ، ولكنه أدرك في النهاية أنه واهم ، والحقيقة أنه ينبغي أن يرفض ذاته ويندم في التراب والرماد !! وشمشون عندما فارقه الرب لم يسأل « لماذا ؟ » فهو يعلم السبب جيداً ، وهكذا كل قديسي العلي يدركون عدم استحقاقهم الشخصي . أما هذا « القدوس » الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش (ابط ٢٢: ٢) ، فهو الوحيد الذي يحق له أن يسأله « لماذا تركتني . . . فانا لم أفعل شيئاً واحداً خطأ ، بل اني مجدتك على الأرض » . الا يدرك السبب ؟ بلي ، فهو يعلم جيداً أنه يحمل - باختياره - خطايانا وهي سبب هذا التحول ، لكنه كما قلنا يعبر عن شدة آلامه وعذابه النفسي ، فكم كانت قاسية تلك المشرور والآثام على طبيعته القدوسة التي لم تعرف الخطية ، كم كانت قاسية !!

عجبا للبعض الذين يدعون أن الله الرحيم لن يلقي بأحد في الجحيم الي الأبد ، ويدعون بأنه سيكون قاسياً فظاً لو فعل ذلك !! حاشا ، الي هؤلاء الواهمين القائلين سلام سلام وليس سلام ، نقول : انظروا الي منظر هذا الابن البار المذنب علي الصليب ، هل تظنون أن الله العادل الذي لم يشفق علي ابنه عندما وضعت عليه خطاياكم بل أوقع عليه الدينونة كاملة ، وأجاز فوق رأسه كل تيارات الجحيم (مز ٧: ٤٢ ، ٧: ٨٨) ، هل سيشفق عليكم أنتم ؟ أنتم يا من احتقرتم ابنه وعوجتم كل مستقيم ، وشربتم الاثم كالماء ؟ بالمقارنة مع ما اجتازه الفادي علي الصليب تبدو الجحيم والوقائد الأبدية ضرورة عادلة لكل نفس أثيمة رفضت قبول هذا الفادي ملكا وسيدا عليها ، والآب الذي هان عليه أن يحجب وجهه عن ابنه الحبيب يوما ما ، سيهون عليه بلا شك أن يقذف بكم الي العذاب الأبدى ، والابن الذي احتمل لأجلكم موت الصليب ، سيأتي اليوم الذي فيه يجلس علي كرسي القضاء ويصبح فيكم « أذهبوا عني يا ملاعين الي النار المدة لأبليس وجنوده » (مت ٢٥: ٤١) . ليتكم تفيقون من وهمكم هذا وتهرعون الي المخلص ، الرب يسوع المسيح ،

طالبين الأمن والحماية من عذاب الله وغضبه المعلن من السماء علي فجور الناس وأثمهم ، قبل فوات الأوان .

ولك يا أخي المؤمن أقول أن الآب قد ترك الرب علي الصليب لكي لا يعود يتركك أنت بل يمتك بحضوره الدائم . وها هو الرب يقول لنا « ها أنا معكم كل الأيام الي انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ٢٠) . الا يجعل هذا قلبك يفيض فرحا وشكرا ؟ فلا صلاة بدون استجابة بعد الآن ، ولا آتون بدون الرابع الشبيه بأبن الآلهة ، ولا وادى ظل الموت بدون رفقته ، ولا تعب بدون إكليل ، يا للمجد !! دعونا نتمتع بمعبة الآب والابن والروح المعزى لنا كل أيام حياتنا ولنكن شاكرين .

(٥)

أنا عطشان

« أنا عطشان » يو ١٩: ٢٨ .

صرخ الرب من الاعماق « الهي الهي لماذا تركتني » ، لكن هذه الصرخة وجدت باب السماء موصدا فترددت في جنات المكان وعاد صداها الي اذني الحبيب ، معلنا أن الكأس التي أخذها من الآب لابد أن يشربها حتي الثمالة . فأحني رأسه الكليل تحت ثقل الدينونة الرهيب ، وظل صامتا كتعجبة صامته امام جازيها فلم يفتح فاه . ومرت الدقائق والساعات ثقيلة كأنها الأبد ، والظلمة تزداد حلقة ، والعذاب يزداد استمارا . لقد كان الرب يجتاز آلام الجحيم التي كنا سنجتازها حتما للأبد .

وأخيرا بعد أن مرت ثلاث ساعات كاملة ، أحس الرب أن الظلام قد انتقش ، والحمل قد أزيح والنيران قد خمدت ، فرفع عينيه مرة أخرى للعلی ، وعندها التقت عيناه بعيني الآب مرة أخرى ، ولمح ثغره البسام ، اذا لقد انتهت الدينونة ، لقد استوفى العدل الإلهي حقه كاملا عن كل خطية عملها بنو البشر . كم فرح الرب ! كم تنفس الصعداء ! لقد أتم المهمة المكلف بها،

فداءنا ، وكانت قواه عندئذ قد خارت وكاد يسلم الروح . مع العلم أن وسيلة الأعداء بالصلب كانت تستغرق عدة أيام قبل أن يلفظ المصلوب أنفاسه الأخيرة ، وهذا دليل على أن الرب كان يجتاز الآلام أقسى بكثير من مجرد آلام الصليب ، ولذلك نقرأ أن بيلاطس تعجب أن يسوع مات هكذا سريعا (مر ١٥: ٤٤) .

ولكن بسرعة تواردت في ذهن الرب النبوات التي قيلت عنه قديما ، ووجدتها قد تمت كاملة ما عدا واحدة لم تتم بعد وهي « في عطشي يسقوني خلا » (مز ٦٩: ٢١) . ألم يكن الرب قد عطش ؟ بلى ، بعد اجتيازه في هذا اللهيب الجسدي والنفسي والروحي ، حتي تحولت رطوبته الي يبوسة القيقظ (مز ٣٢: ٤) ، وييس حلقه (مز ٦٩: ٣) . وبسبب مثل شقفة قوته واصق لسانه بحنكه (مز ٢٢: ١٥) ، شعر أنه في حاجة الي قطرة ماء يبرد بها لسانه ، تماما كما شعر بذلك الفني وهو في الهاوية (لو ١٦: ٢٤) ، وألم يجتاز الرب ليهيب الهاوية وهو علي الصليب ؟ بلى . لهذا كله قال « أنا عطشان » .

لكن هل تظن أن هذا العطش كان جسديا فحسب ؟ كلا ، انه ايضا .

✳ **عطش الي الله** : فالدينونة التي فصلت بين المخلص والله قد ولدت في نفسه عطشا روحيا ، عطشا الي الله ، فالرب بعد أن تحول عنه الآب لمدة ثلاث ساعات شعر بعدها بالشوق الي الشركة مع الله . أنه العطش الموجود في قلب كل انسان من نحو الله ، فالانسان مفصول عن الله بسبب خطاياه ، وهو يشعر بظلمة داخلي شديدة ، وهو يحاول جاهدا أن يروى عطشه هذا بأن يدلي بدلوه في آبار شهوات وملذات وملاهي هذا العالم ، لكن هيهات فهي آبار مشقة لا تضبط ماء (أو ٢: ١٣) ، فهو يمسى أكثر عطشا ، فكل من يشرب من هذا الماء يعضش أيضا (يو ٤: ١٣) . لذا فلنسان حال كل انسان بعيد عن الله هو « أنا عطشان » .

لقد عطش الرب نياحة عنك لكي يمطيك الارتواء الحقيقي ، فهو الذي قال « من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعضش الي الأبد بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الي حياة أبدية » (يو ٤: ١٤) ، وقال أيضا « أن عطش أحد قليقبل الي ويشرب » (يو ٧: ٣٧) ، و« من يؤمن بي فلا يعضش أبدا » (يو ٦: ٣٥) . ما هذه المياه التي يعطيها ؟ الروح القدس ، روح

الله نفسه الذي يأتي ويسكن في قلب كل من يقبل المسيح مخلصا شخصا (أف ١: ١٣) ، فيشبع جوعه ويروى ظمأه ويملا فراغ قلبه ، فيدوس بعز علي كل معربات العالم . هل شعرت بهذا الارتواء أم مازلت تلهث خلف سراب هذه الحياة ظنا منك أنك واجد فيها شيعا وأرتواء ؟ أنك مخدوع ! هذا الماء لا يروى ، تعال الي المخلص ، لقد عطش نياحة عنك كي يهبك الارتواء الحقيقي ، خذ منه ماء الحياة ، بل انهار الماء الحي . لقد سبقك الي هذا الماء المثلث بل الألوف بل الربوات ، ويستطيعون أن يشهدوا لك أنهم وجدوا السعادة الحقيقية والارتواء النفسي في شخص المسيح ، فمن صخرة الجلجثة الجدياء تدفقت انهار الماء الحي !!

✳ **عطش الي النفوس** : لكننا نستطيع أن نقول أيضا أن هذا العطش كان عطشا لخلاص النفوس ، فالذي دفع الرب الي اعتلاء الصليب هو شوقه الشديد لخلاص العالم ، ألم يقل مرة أن طعامه هو أن يفعل مشيئة الذي أرسله (يو ٤: ٣٤) ؟ وما هي مشيئة الآب الذي أرسله ؟ أن جميع الناس يخلصون والي معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤) .

ليتنا أيها المؤمنون نحب بدورنا الخطاة المحيطين بنا ونشتاق لخلاصهم ، وليكن طعامنا هو أن نعمل مشيئة الذي أرسلنا قائلا « اذهبوا الي العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها » (مر ١٦: ١٥) ، ونتمم عمله .

✳ لكن كما قلنا فهذه المعاني الروحية لا تنفي العطش الجسدي الذي كان يشعر به الرب ، وحاجته الماسة الي الماء . وها نحن نرى أحد العسكر يركض الي قطعة أسفنج ويغمسها في خل ، ويضعها علي قصبة ويسقيه . هذه هي ثاني مرة يقدم فيها الخل للرب ، المرة الاولى كان الخل ممزوجا بمر كوسيلة لتخدير المصلوبين ، ولكن الرب رفض آنذاك أن يشربه ، لأنه يريد أن يجتاز الآلام الكفارية وهو في كامل وعيه وشعوره ، أما الآن ، وبعد أن تم العمل فهو يشرب الخل اتماما للنبوة ، وبلا شك أن الخل لم يطفى جذوة العطش بل أشعلها ، ولم يربط الحلق بل ألهبه أكثر ، لكن هذا هو كل ما يستطيع العالم أن يقدمه ، لا تنتظر منه اشفاقا أو عناية !

عجبا لأولئك الذين يتشككون في وعود الكتاب ، والمؤمنين البطيئ

القلوب في الايمان ، الذين يخشون أن يبنوا حياتهم علي صخرة الكلمة وكانها ليست ثابتة بدرجة كافية !! انظروا كيف يعتني الرب حتي وهو في احلك اوقاته باتمام المكتوب ، انظروا كيف يحرس علي أن لا تسقط نقطة واحدة منه !! الا يدفعنا هذا لان نثق في الكتاب ونبنى حياتنا عليه بكل ثقة ويقين ، فيكون كمرساة النفس الثابتة المؤتمنة ؟!

(٦)

قد أكمل

« قد اكمل » (يو ١٩ : ٣٠)

بعدما تناول الرب الخل المقدم اليه تعبيرا عن بغضة الانسان وعناده ، وبعدما تأكد انه الآن قد تم كل المكتوب ، لم يستطع بعد أن يؤجل اعلان انتصاره الكامل واتمام أمر الفداء ، لأنه يعلم أن عيون جميع المنتظرين فداء في اسرائيل شاخصة اليه ، بل أن الأرض والسماء كلها تنتظر بلهفة هذه اللحظة ، فجمع كل ما تبقي في جسده الواهن من قوى وصرخ بصوت عظيم « قد اكمل » .

هزيمة في الجحيم

انطلقت هذه الصرخة كالقذيفة وسقطت علي رأس ابليس ، الحية القديمة ، فخر صريعا مهشم الرأس أسفل عقب السرب (تكوين ٣ : ١٥) . وسقطت معه كل أجناده وقواته مهزومة مقهورة . فهذه الصرخة كانت بمثابة اعلان انتهاء مملكة ابليس الي الأبد ، وانقضاء العهد الذي كان فيه صاحب سلطان علي البشر ، بشرط أن ينضم هؤلاء البشر تحت لواء الرب الظافر .

لكن وان كان القرار صدر فعلا الا أن التنفيذ الكامل له لم يتم بعد ، لان العالم مازال واقفا للرب وراضيا بابليس سيدا له . فالشيطان حتي

هذه اللحظة رئيس هذا العالم الشرير (اف ٢:٢) ، رغم انه قد دين فعلا وطرح خارجا كما قال الرب في (يو ٣١:١٢ ، ١١:١٦) ، لكن الرب يتأنى في تنفيذ حكمه النهائي علي ابليس وجنوده والعالم الذي تبعه ، الي أن يكمل كنيسته المحبوبة ، التي تتكون من القلة التي انضمت تحت لواء المخلص المصلوب ، تلك القلة التي تحتوى في الدم الكريم لم يعودوا بعد من العالم (يو ١٤:١٧) ، والشيطان ليس له أى سلطان عليهم بالمرة ، بل هو بالنسبة لهم عدو مهزوم ، معدود الأيام ، واله السلام سيسحقه تحت أقدامهم سريعا (رو ٢٠:١٦) . ففي الصليب ظفر الرب بكل قوات الجحيم مشهرا آياهم (كو ١٥:٢) ، وبموته أباد ذاك الذي له سلطان الموت أى ابليس ، واعتقنا نحن الذين كنا خوفا من الموت كل حياتنا تحت العبودية (عب ١٤:٢ ، ١٥) . فهل انت تحت لواء الصليب ؟ هل احتميت في دم المسيح ؟

فرح في السماء

بل أن هذه الصرخة اخترقت بسرعة البرق حجب الظلام الكثيف حتي وصلت الي السماء ، حيث ينتظر الجميع هذا الاعلان العظيم ، فهو سر رجاء كل القديسين الذين في السماء . ولا تسأل عندئذ عن الفرح الذي صار في السماء ، لقد تم بالعيان ما كانوا ينظرونه بالايمان ، فلا يغيب عن أذهاننا أن مؤمني العهد القديم قد خلصوا بايمانهم بذبيحة المسيح التي لم تكن قد حدثت فعلا بعد . ولكنها ها هي قد تمت في ملء الزمان (غل ٤:٤) ، وقد رأيناها ، لذا نؤمن ، لكن طوبى للذين آمنوا ولم يروا !

لو سألنا عما قد اكمل لقلنا :

✱ **الخلاص من دينونة الخطية** : هذا الجانب من الخلاص ، أى خلاصنا من جهنم ، قد تم كاملا علي الصليب . عندما شرب الرب كأس دينونتنا كاملة . ولهذا فان كل من يؤمن بالرب ايمانا قلبيا حيا لا يأتي الي دينونة بل قد انتقل من الموت الي الحياة (يو ٢٤:٥) ، وينال لحظة ايمانه خلاصا من الجحيم . وهذا هو الخلاص الذي يتم في لحظة .

ولكن هناك جانباً آخر من الخلاص يتم في حياة المؤمن كل يوم بل كل لحظة ، وهو الخلاص من عثرات وسقطات الخطية ، الذي يجب ان نتممه بخوف ورعدة (في ١٢: ٢) ، ليس خوفاً من جهنم بل من احزان روح الله القدوس الذي سكن داخلنا لحظة ايماننا (أف ٣: ٤) .

وهناك جانب ثالث واخير من الخلاص سيتم عند مجيء الرب لاختطاف كنيسته وهو الخلاص من جسد وعالم الخطية بأكمله ، وهو الخلاص الذي صار الآن اقرب مما كان حين آمنا ، حيث ان كل يوم يمر علينا يقرب موعد مجيء العريس (رو ١١: ١٣) .

وهذان الجانبان الاخيران رغم انهما يحتاجان من المؤمن الى جهاد وصراع وسهر وايمان يستمر طوال الحياة ، الا انهما ايضا من صنع الله ، فهو العامل فينا ان نريد وأن نعمل من أجل المسرة (في ١٣: ٢) . وهو الذي يمنحنا القدرة على السلوك المقدس (يه ٢٤) ، وهو الذي سينقذنا من الغضب الآتي بمجيئه (اتس ١: ١٠) . اى اننا في الأبدية لن نجد شيئاً نفتخر اننا عملناه !! فكل شيء به وله قد عمل ، وبالنعمة نحن مخلصون (أف ٨: ٢) ، له كل المجد !!

*** النبوات :** فكل النبوات التي قيلت عن الرب في العهد القديم ، من ميلاده حتى صليبه ، كانت لابد ان تتم حتي يكمل الكتاب . فكل طقوس وفرائض وذبائح الناموس كانت رموزاً ونبوات عن الفادي المقبل .

ولندكر في هذا الصدد انه ان كانت كل نبوات الكتاب الخاصة بالمجيء الاول للرب قد تمت حرفياً ، فهكذا ستتم كل النبوات الخاصة بمجيئه الثاني وملكه حرفياً ، وليس كما يحلو للبعض ان يفسروها بعيداً عن مضمونها ظانين ان مجيئه وملكه انما هو مجيء وملك روحي وذلك لكي يعطوا انفسهم سلاماً كاذباً ، لكنها ستتم في وقتها قريباً جداً ، بل في وقت لا يظن أحد سيأتي ابن الانسان !!

*** عصر الفرائض :** اعطى الله لمؤمنى العهد القديم الناموس بوصاياه وطقوسه الجسدية التي تناسب ادراكهم المحدود جداً للأمور الالهية الخاصة بالفداء وكفارة المسيح المقبلة وتكوين الكنيسة ، وحاجتهم الى المحسوسات

والملموسات التي تقرب الي ذهبنهم الروحانيات ، اذ كانوا كأطفال قصر (غل ٤: ١ - ٣) .

وعندما فشل الجميع في حفظ الناموس ، اصدر عليهم الناموس حكمه بالموت الابدي ، وبهذا صارت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت (رو ٧: ١٠) . ولكن لما جاء المسيح كنائب عنا ، استطاع ان يحفظ الناموس كاملاً طوال حياته ، الامر الذي فشلنا نحن فيه ، وفي نهاية حياته اسلم نفسه للموت نيابة عنا تنفيذاً لحكم الناموس علينا . واذ متنا مع المسيح فقد الناموس سلطانه علينا ، ولم نعد مديونين له بل بالحرى للذي مات لاجلنا وقام . واذ قمنا معه نسلك في جسد الحياة (رو ٤: ٦) ، لا بموجب شرائع ونواميس فيما بعد بل بموجب روح الحياة الذي اخذناه منه (رو ٨: ١٠) ، او كما قال الرسل « اذا يا اخوتي انتم ايضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر ، للذي قد اقيم من الاموات ، لنشعر لله » (رو ٤: ٧) .

لقد انتهي عهد الفرائض والطقوس الجسدية - كاسلوب حياة - اذ سمره الرب بالصليب (كو ١٤: ٢) ، فكلها كانت موضوعة فقط الي وقت الاصلاح (عب ١٠: ٩) . وها قد اخذنا الروح القدس الذي يستطيع ان يعلن لنا كل الحق دون الحاجة للملموسات (يو ١٦: ١٣) . وهذا الروح يضع المسيح نفسه مثلاً اعلى لنا ، وهذا بلا شك مقياس اسمي بكثير من الناموس الطقسي . او لم يقل الرب ان برنا ينبغي ان يزيد علي بر الكتبة والفريسيين ، اى يزيد عن مجرد فرائض مادية ؟

فكم هو محزن حقاً ان نرى مؤمنين حتي الآن يظنون انهم ينبغي ان يسلكوا بموجب فرائض مختلفة ، التي كانت مجرد ظلال للعهد الجديد الذي ما ان تم بموت الرب حتي انتهت الظلال للأبد ، لانه متي جاء الكامل حينئذ يبطل ما هو بعض ، ولهذا نجد حجاب الهيكل قد تمزق عندما صرخ الرب صرخته تلك واسلم الروح . لنسمع ما يقوله بولس في هذا الصدد « اذا ان كنتم قد متم مع المسيح عن اركان العالم فلماذا كنتم عاشقون في العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس لا تذوق لا تجس التي هي جميعها للفناء في الاستعمال وهي حسب وصايا وتعاليم الناس . فلا يحكم عليكم أحد في اكل او شرب او من جهة عيد او هلال او سبت التي هي ظل الامور العتيده . ولكن كما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه - اى بقوة روحه - متواصلين ومبنيين فيه وموطنين في الايمان » (كولوسي ٢) .

في يديك روحي

« يا ابتاه في يديك استودع روحي » (لو ٢٢: ٤٦) .

بعد تلك الصرخة الأخيرة التي استنفدت آخر ما بقي من قوى الرب يسوع ، نجده يرفع نظره الي أعلي وعلي شفثيه شبه ابتسامه ، ويقول بسطان وليس كمن هو مغلوب علي امره « يا ابتاه في يديك استودع روحي » ونكس الرأس واسلم الروح .

هل من ضرورة لهذا القول ؟ بلا شك ، فقد كان الرب قد اتم كل العمل ، وبقي أن يجتاز الموت الجسدي والقبر لكي يكون مجربا في كل شيء مثلنا ، ولكي ينير طريق الموت الذي ظل علي مدى العصور الخالية مظلم غامضا . وبما أنه اعطي الصليب باختياره ، هكذا كان لابد أن ينزل عنه الي القبر باختياره ايضا . فهو له سلطان أن يضعها (نفسه) وليس أحد يأخذها منه (يو ١٨: ١٠) ، فهو لم يمت كنتيجة طبيعية للصليب ، بل بكامل اختياره وارادته ، لهذا قال « يا ابتاه في يديك استودع روحي » فهي في سلطاني ، وايضا لي سلطان أن آخذها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام من الآن ، وحتى ذلك الحين هي وديعة عندك .

نحن لا نستودع ارواحنا عند الله الي حين بل نسلمها له الي الابد (ا ع ٥٩: ٧) ، لكنه هو سبحانه الذي يستودع ارواحنا عندنا طوال فترة الحياة ويستردها مرة أخرى عند المات والي الابد ، وسوف نعطي عنها حسابا . اما المسيح فلم يكن بشرا عاديا ، فقد كان مزمعا أن يسترد روحه ويقوم ثانية بعد ثلاثة أيام ، فلذا قال « استودع » .

« يا ابتاه » : كم يسعدنا أن نسمعها من فمك مرة أخرى يا سيدنا ! تلك الكلمة التي علمتنا أن نقولها في صلاتنا . ان نطق المسيح بهذه الكلمة مرة أخرى لهو دليل علي عودة العلاقة الطبيعية بينه وبين الآب ، وانتهاء مشكلة الخطية الي الابد . له كل المجد !!

« في يديك » : حيث الأمان والضمان والصون ، حيث يحلو لكل مؤمن أن يسكن (مز ١٠٩: ١) . أو لسنا نحن في يديه ؟ بلي ، هكذا قال الرب في (يو ١٠: ٢٨ ، ٢٩) ، بل نحن منقوشون علي كفيه (اش ٤٩: ١٦) . اذا لماذا القلق والاضطراب الذي يسود حياة الكثيرين من المؤمنين ؟ انه عدم الايمان بكل أسف . ليتنا نعرف أن أنفسنا بين يديه ، ونتمتع بمركزنا السامي هذا ، ونقضي حياتنا في سلام وأمان كاملين .

« وروحي » : اية روح تلك ؟ روح المسيح البشرية بالطبع وليس الروح القدس الذي كان يحل فيه بكل ملء الله ، فذاك لم يفارق جسده لحظة واحدة .

اخشعي أيتها الطبيعة ، فما هو فاديك يسلم الروح ويموت بعدما اتم كل ما لزم لخلاصك وتحريرك من عبودية الفساد ولنقلك الي حرية مجد أولاد الله (رو ٨: ٢١) . ثم ثوري أيتها الطبيعة علي ظلم الإنسان وشره ، اعلمي للملا أنك لست شريكة في سفك تلك الدماء الزكية ، قولي أنك تستنكرين ما حدث ، ولا ترضين به ، قولي أنك وإن كنت صماء جامدة الا أن قلب الإنسان أكثر صلابة وقسوة ، اعلمي أن هذا الذي مات لتوه إنما هو ملكك العظيم !! وهذا ما حدث فعلا ، فبمجرد أن نكس الرب رأسه حتي انفجر بركان غضب الطبيعة ، فتشقق الصخور وتزلزلت الجبال ، وتفتحت القبور ، وقام الكثير من أجساد القديسين الراقدين ، دليلا علي انتهاء سلطان الموت علي أجساد المؤمنين الي الابد .

معظم الذين راوا ما حدث خافوا وبحثوا عن مكان يختبئون فيه ، واحد فقط هو الذي آمن عندما رأى هذا وقال حقا كان هذا الإنسان بارا (لو ٢٣: ٤٧) وهو قائد المئة الواقف عند الصليب . وحتى يومنا هذا نجد الصنفين من الناس حيثما تواجدت الكوارث والاضطرابات ، الغالبية العظمى ينشغلون بتفسير الظواهر تفسيراً علمياً وسياسياً ، وقلة هم أولئك الذي يستنتجون من هذه الكوارث أن الله « البار » يعلن غضبه علي فجور الناس واثمهم (رو ١٨: ١) ، فيتوبون .

وتوالي بضع حوادث بعد هذا ليس لنا أن نتمعق فيها الآن ، بل نمر

عليها سريعا . فها هو الانسان يؤكد قساوة قلبه رغم كل ما يراه ويسمعه ، فيقطع جنب الجسد المقدس بالحربة ، فيرد عليه بفيض من الماء والدم ، للتطهير والتكفير عن آثامه !! ومن ناحية اخرى نجد اثنين من المؤمنين الذين يخجلون من الشهادة عن مسيحهم ، وهما يوسف الرامي ونيقوديموس ، قد سئما التخفي والرياء ، فخلعا الاقنعة ناديين علي ما مضى ، وذهبا علانية الي بيلاطس طالبين جسد يسوع ، فان كان خوفهما وجبنهما قد منعهما عن خدمته اثناء حياته ، فليس اقل من ان يخدماه بعد موته عنهما . عجباً لذلك المؤمن الذي يخجل من الشهادة عن مخلصه !! واظن ان الشيء الوحيد القادر ان ينشله من خجله هذا هو تأمله في محبة الرب له ، تلك التي ظهرت في الصليب ، كيف لم يخجل هو من آثامنا رغم بشاعتها بل رضي ان يحملها جبا لنا !! الا يدوب قلبك امام هذه المحبة ؟

وها هو الرب يوضع في قبر جديد ، لم يستخدم من قبل ، تماما كما دخل اورشليم راكبا علي جحش لم يمتطه احد من قبل ، بل كما جاء الي العالم من طريق لم يسلكه احد من قبل . لكنه في نعمته عندما اراد ان يختار احبائه ، اختارهم ممن اذلهم ابليس لسنين طويلة ، ومرر حياتهم في عبودية قاسية !!

واذ ينسحب كل من نيقوديموس ويوسف خارج القبر ، نستطيع ان نلمح في عيونهما دموعا تنساب في هدوء وهما يهمسان « لك عيدنا يا سيد ان نجاهر بحبك ونشهد لك حتي نلقاك في المجد ، ونرجو ان تغفر لنا تلك السنين التي اكلها الجراد » . واذا يدحرجان حجرا ضخما علي باب القبر ، يمضيان نحو مستقبل جديد وخدمة جديدة .

وبعد ان يغيبا عن انظارنا وراء حاجز الأفق ، والشمس تميل للغروب ، نجد مجموعة من النساء الشريفات يتحولن ويمضين في طريقهن بعدما راين اين وضع الجسد ، وهن يتواعدن علي اللقاء في صباح الأحد لكي يزرن الجسد المسيحي ، غير عاليات انه سيكون في انتظارهن مفاجأة مفرحة . . .
لقد قام كما قال !!

خاتمة

ان كان المسيح قد جاء الي العالم وعاش ثم مات وقام ثانية ، فهذه حقائق تاريخية لا تقبل الجدل ، وايمانك بها ايمانا تاريخيا كحقائق مسلم بها لن يفيدك شيئا ، فهو لن يزيد عن ايمانك بان الأرض كروية وبأنها تدور حول الشمس . . . ايمانا عقليا لا يؤثر او يغير في حياتك العملية شيئا ، مثل هذا الايمان لا يزيد عن ايمان الشياطين (يع ١٩:٢) !!

وكونك مسيحيا لانك ولدت في بيت مسيحي لن ينفعك شيئا ايضا ، بل انك امام الله علي قدم المساواة مع ذلك البوذي الذي ولد فوجد نفسه بوذيا ، او ذلك الملحد الذي ورث الالحاد عن ابيه !! فاولئك ليس ذنبهم انهم ولدوا هكذا ، ولا انت لك فضل انك ولدت مسيحيا . فالحق يريد ان تكون لكل انسان علاقة حية معه مبنية علي اختبار شخصي وليس علي حالة وراثية !!

ان الايمان الحقيقي المطلوب هو الذي يربطك بعلاقة شخصية حية مع الله ، ويصنع بينكما ألفة وسلاما ومحبة ، ويدفعك ان تتركس له حياتك بالكامل وتسلك كما اوصلك . هذا الايمان الحي هو الشرط الاساسي لكي يغفر لك الله ذنوبك ويتخذك ابنا له .

ان التحدى الموجود امامك الآن هو ان تقرر بعزم القلب ان تعطى حياتك للمسيح لكي يجددها ، وان تحيا من الآن فصاعدا بحسب كلامه مهما تكون الصعاب ، منتظرا المجد الابدي في السماء . يمكنك الآن ان تغمض عينيك برهة ، وتخطب الله بكل قلبك - ولو لأول مرة - وتطلب منه الغفران والحياة الابدية علي اساس الخلاص الذي صنعه الرب يسوع علي الصليب ، وله كل المجد الي ابد الابدين . آمين .